الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة الرابعة

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.. طرق على الباب.....

الوالي: من الطارق؟

الشافعي: فتى من مكة أيها الأمير.

الوالي:"حركة فتح الباب" أهلا بك أيها الفتى.

الشافعي: السلام عليك أيها الأمير.

الوالي: وعليك السلام ورحمة الله. أدخل يا بني.

الشافعي:"فترة صمت"لعلي لم أثقل عليك ولم أطرق بابك في وقت راحتك.

الوالي: وما قيمة أن نتولى أمور الناس ثم نغلق بابنا دونهم.. قل لي يا بني: من أنت وما حاجتك؟

الشافعي: أنا أيها الأمير محمد بن إدريس الشافعي المطلبي من المقيمين في البيت الحرام حصلت العلم فيه ودرسته.

الوالي: أهلا بك لقد سمعت بعض ما يقوله المسافرون عنك. لكن ما هو الذي حملك على المجيء إلى المدينة؟

الشافعي: لقد رغبت في رؤية الإمام مالك بعد ظهور كتابه العظيم الموطأ. وزادت رغبتي في التقائه بعد أن قرأت الكتاب وحفظته عن ظهر قلب.

الوالي: ماذا؟ تقول حفظت الموطأ كله عن ظهر قلب؟

الشافعي: وماذا في ذلك أيها الأمير؟

الوالي: إن فيه شيئا كثيرا يا بني. المهم الآن هو موضوع التقائك الامام.

الشافعي: أجل.. وقد رجوت أمير مكة ووالیها أن يزودني بكتاب يقدمني به إليك. فأعطاني حفظه الله كتابين أحدهما لك والثاني للإمام مالك.

الوالي: فأين الكتابان؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الشافعي: هذا هما أيها الأمير.

الوالي:"فترة صمت"هل تعلم يا محمد معنى أن تتهيأ لك فرصة التقاء الإمام؟

الشافعي: لست أفهم ما تقصد إليه.

الوالي: حسن سأفهمك. لو أن والي مكة طلب إلى السعي من جوف المدينة إلى جوف مكة ماشياً حافيًا لكان أهون على من الذهاب إلى بيت الإمام مالك.

الشافعي: حسن.. يمكنك أن تحضره إلى دارك لو شئت فأنت أمير المدينة.

الوالي: هيهات يا ابن ادريس.. ليتنا إذا ركبنا إليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب، ولكن هيا بنا على بركة الله.

الشافعي: ألا تعتقد أن الكتاب الذي أحمله إليه يساعدنا على الدخول إلى داره؟

الوالي: أرجو ذلك.

نقلة موسيقية.....

الشافعي: لم أكن أنتظر مثل هذه الصعوبة أيها الأمير.

الوالي: هذه عادته يا بني. فهو لا يستقبل الناس إلا يوم المجلس الأسبوعي. لكنني في الوقت نفسه أعتقد أنه سيكون لكتاب أمير مكة تأثيره في نفسه. فلننتظر جوابه عنه.

مالك:"فترة صمت"مرحباً بكما.

الشافعي والوالي: السلام عليك أيها الامام.

مالك: وعليكما السلام ورحمة الله.. أأنت الفتى الموصى بك؟

الشافعي: بلى أيها الإمام.

مالك: سبحان الله هل صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب بالوسائط والتوصيات.. أدخلا أولاً ثم نتابع الحديث.

الشافعي:"فترة صمت"أصلحك الله تعالى وزادك علماً ومهابة ووقارا. فأنا رجل مطلبي طلب العلم عند أهله في مكة. ثم وقع في يدي كتابك العظيم الموطأ فرغبت في الاتصال بك والسماع منك.

مالك: فما اسمك؟

الشافعي: أنا محمد بن إدريس الشافعي من مواليد غزة – عسقلان.

مالك:"بعد تأمل يسير" حسن يا محمد.. اتق الله واجتنب المعاصي فإني أرى في قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية فإني أتوسم فيك خيراً.

الشافعي: نعم وكرامة.

مالك: إذا كان الغد فتعال إلينا في المسجد نقرأ لك الموطأ.

الشافعي: إني أقرأه يا مولاي حفظاً.

مالك: ماذا؟ حفظته عن ظهر قلب كله؟

الشافعي: نعم كله..

مالك: حسن.. فاقرأ علي بعضه..

نقلة موسيقية.....

مساعد: هكذا كان اللقاء الأول بين الشافعي الفتى الذي لم يكن قد جاوز العشرين من عمره إلا قليلاً وبين الإمام مالك.

خالد: وهل استمر طويلا يدرس عليه ويحفظ عنه؟

مساعد: بلى يا خالد.. لقد لزمه ثمانية أشهر في البيت والمسجد وبلغ من إعجاب مالك به أنه كان يقدم إليه الطعام والماء بيده على جلالة قدره وعظيم شأنه. وقد طالما أثنى على الشافعي في فهمه وحفظه.

خالد: الذي نعرفه يا أستاذ مساعد أن الشافعي رحمه الله قد طوف في بلاد كثيرة فهل تقول لنا شيئا عن رحلاته العلمية؟

مساعد: الواقع يا خالد أن الحديث عن رحلات الشافعي حديث طويل. لكنني قبل التحدث عن هذه الرحلات أذكر لك أنه قد لقي عدداً كبيراً من علماء المسلمين الذين كانوا يترددون على المدينة بعد انصرافهم من آداء مناسك الحج.

خالد: ومن هم أشهر العلماء الذين قابلهم في دار الإمام مالك؟

مساعد: أشهرهم من المصريين وكان في مقدمتهم عبد الله بن الحكم وأشهب وابن القاسم والمجتهد الكبير الليث بن سعد. والشافعي هو الذي كان يملي عليهم كتاب الموطأ في المدينة.

خالد: ومن من العراقيين عرج على المدينة في ذلك الوقت؟

مساعد: كثيرون يا خالد.. المهم أن تعلم أن الشافعي رحمه الله كان يملي على الجميع كتاب الموطأ..

خالد: ألا تحدثنا عن يوم ارتحاله من المدينة؟

مساعد: بكل سرور.. لقد قال الرواة: أن الشافعي سمع من بعضهم أخبار علماء العراق كأبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فاشتاق للسفر إلى العراق والاجتماع بالعلماء فيه. وفي صباح يوم دخل إلى الإمام مالك..

نقلة موسيقية.....

الشافعي: السلام عليك أيها الامام ورحمة الله.

مالك: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا بني.

الشافعي: قد يدهشك أنني أتيت على غير ميعاد.

مالك: أنت لا تحتاج إلى ترتيب ميعاد لمقابلتي يا محمد. قل لي: ماذا عندك؟

الشافعي: أنت تعلم أني خرجت من مكة في طلب العلم ولم أستأذن والدتي. فهل أعود إليها أو أتابع الرحلة في طلب العلم؟

مالك: وهل قررت مفارقتنا؟

الشافعي: إن رغبتي في الاستزادة من أنواع العلوم هي التي دفعتني إلى التفكير في مفارقتك.. فبماذا تنصحني أيها الإمام؟

مالك: اسمع يا بني.. العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة.. ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلبه؟

الشافعي: اذاً فأنت تشير بمتابعة الطريق في رحلتي هذه دون العودة إلى مكة؟

مالك: أحسنت.. فإلى أين تريد السفر؟

الشافعي: أريد السفر إلى العراق فقد سمعت أن في بغداد رجال علم يجب أن ألتقيهم وأسمع منهم.

مالك: ومتى قررت الرحيل؟

الشافعي: اليوم إذا أذنت لي بذلك. فقد علمت أن قافلة تتجه إلى العراق في آخر هذا النهار..

مالك: على بركة الله..

الشافعي:"فترة صمت"فهل تأذن لي بالانسحاب؟

مالك: في وسعك أن تخرج متى تشاء. لكنك يا بني في حاجة إلى نفقة تستعين بها في السفر. خذ هذه ستة وأربعون ديناراً لنفقتك حتى يرزقك الله بغيرها. وهذه أربعة دنانير تكتري بها راحلة من رواحل القافلة.

الشافعي: هذا مالك يا مولاي لا أحرمك منه.

مالك: بل تأخذه يا محمد.. فهو نصيبك الذي رزقك الله به.

الشافعي: فمن أين لك هذا المال وأنا أعلم أنك لا تملك منه الكثير؟

مالك: إن ابن القاسم المصري أعطاني مائة دينار. فجعلتها نصفين. نصفاً لك ونصفاً لي.

الشافعي: ما أنصفت يا مولاي مع نفسك إذ حرمتها من هذا المبلغ.

مالك: كلا يا بني.. فخذ ما أعطيكه فهو حق مثلك من طلاب العلم.

الشافعي: أنت والله نعم المعلم والولي. إنه ليس أحد أمن علي منك. فقد جعلتك حجة بيني وبين الله.

مالك: لا بأس عليك يا بني.. وتعال نتمشى إلى حيث تقوم القافلة.

الشافعي: لكن هذا كثير يا مولاي.

مالك: كلا يا محمد سأماشيك حتى البقيع.. أوَليس أن البقيع هو الذي تنطلق منه القوافل؟

الشافعي:"بعد تردد"بلى أيها الإمام.

نقلة موسيقية...

خالد: كم هو كبير يا أستاذ مساعد الفرق بين اليوم الذي قدم فيه الشافعي على الإمام مالك واليوم الذي فارقه فيه.

مساعد: ألا تعلم يا خالد أن المرء بأصغريه: قلبه ولسانه؟

خالد: صدقت.. هذا صحيح.. لكنك لم تقل شيئا عن رحلات الإمام الشافعي في طلب العلم.

مساعد: الحديث عنها طويل ذلك أنه طوف في العراق وبلاد فارس وما حولها من بلاد الأعاجم ثم ذهب إلى ديار ربيعة ومضر ومنها إلى شمال العراق حتى وصول إلى جنوب بلاد الروم حيث تقوم اليوم بلاد الأناضول التركية وتابع منها طريقه إلى فلسطين وأقام في الرملة جنوب بيت المقدس.

خالد: الذي نعرفه يا أستاذ مساعد أنه دخل مصر أيضا..

مساعد: ودخل بلاد اليمن وعاد إلى المدينة ومكة.. لكن هذا التطواف بالإضافة إلى بعض المواقف لا يمكن الإفاضة في الحديث عنهما في لقاء اليوم. ولذلك سنعود إلى الشافعي إن شاء الله في أول فرصة قادمة.

خالد: شكراً لك يا أستاذ مساعد.

مساعد: المهم أن تعلموا جميعا أن رجالا من أمثال الشافعي قد كانوا وما يزالون النماذج الطيبة للمؤمنين الراغبين في الحفاظ على عهد الله إليهم والقيام على دين الله في ميدان العلم والعمل والإيمان والسلوك.